كراسات المخطوطات في التراث الإسلامي
ملاحظات أوَّلية في النوع والبناء

د. مصطفى الطوبي

جامعة ابن زهر - أكادير

ملخَّص

هذا البحث عبارة عن استئذان أوّلي لرصد عنصر الكمية في استخراج الأحكام المرتبطة بالمخطوطات في مجال صناعة الكرّاسة، في العالم العربي الإسلامي. وقد استهللته بتعريف الكرّاسة، والأحكام المرتبطة بهذا العنصر الجوهري في المخطوط في التطبيقات الغربية التي استطاعت أن تقف على مجموعة من الأنواع، مثل الثنائية، والرباعية، والثمانية، كلُّ نوع بحسب فروعه في المخطوطات اللاتينية واليونانية.. وقد اشتغلت في هذا البحث على عيّنة مكوّنة من أربعين مخطوطًا من مخطوطات التاريخ الموجودة بالخزانة الحسنية بالرباط، والتي تعود إلى القرن الثاني عشر الهجري، واستأنست بمتون أخرى من مخطوطات الخزانات الخاصة، من مثل مخطوطات المدارس العتيقة الموجودة في الجنوب المغربي، ومخطوطات السلطان المغربي سيدي محمد بن عبد الله، وانتهيت إلى تأكيد هيمنة الخماسيات على مخطوطات الخزانة الحسنية في المجال المذكور، كما وقفت على مميّزات لافتة للنظر، من مثل تردُّد شارة الملزمة التي هي عبارة عن عين مائلة، والاعتياد على ترك صفحات قد تصل إلى حجم كراسة في بداءة المخطوط وفي نهايته أيضا.. وإنما اعتبرته استئذانا لأن النتائج التي توصّلت إليها لم تبارح الفرضياتِ، إذ يفترض أن نؤكّدها بدراسات من مجموعات مختلفة في انتماءاتها الجغرافية، وحتى في صورها الكاليغرافية والكوديكولوجية، ولكن متّفقة في الحقبة الزمنية لتأكيد النتائج الأولية التي وقفنا عليها.

الكلمات المفتاحية: المخطوط، المخطوط العربي، الكراسة، الملزمة، الدفتر الكوديكولوجي، الكاليغرافي.

İslam Kültüründe Yazma Eser Formaları: Tür ve Yapı Hakkında Temel İzlenimler
Prof. Dr. Mustafa et-Tûbî
Özet

Bu makale, İslâm âleminde forma yapımında yazmalarla alakalı olan prensiplerin tespitinde nicelik unsurunun gözetilmesi hususunda bir giriş çalışması niteliğindedir. Bu çalışma, formanın tanımı ile başlamış, Latin ve Yunan yazmalarındaki her türün alt dalına göre ikili, dörtlü, sekizli gibi farklı türler üzerinde duran Batılı uygulamalarda yazma eserdeki bu ana unsur yani forma ile ilgili prensipleri ele almıştır. Bu çalışmada esas olarak Rabat'da bulunan El Hasaniye Kütüphanesi'ndeki hicrî 12. yüzyılda yazılmış olan kırk yazma tarih kitabından faydalanılmış olup bunun dışında Fas'ın güneyindeki eski medreselerin kütüphaneleri ve Fas Sultanı Sidi Muhammed b. Abdullah Kütüphanesi gibi farklı kütüphanelerden de çeşitli yazmalar incelenmiştir. Çalışma sonunda El Hasaniye Kütüphanesi'nde zikredilen sahada beşli formaların daha fazla olduğu sonucuna varılmıştır. Bununla beraber çalışmada kıvrık 'ayın harfi olan ve formalara işaret eden takip işaretlerinin dikkat çeken özelliklerine değinilmiş, yazmaların başında veya sonunda neredeyse bir forma hacminde olan boş sayfa bırakma alışkanlığından bahsedilmiştir. Bu çalışmayı bir "giriş çalışması" olarak değerlendirmemizin sebebi ise çalışma sonucunda vardığımız neticelerin birer varsayımdan öteye geçmiyor olmasıdır. Zira bu çalışmanın sonuçlarının, belli bir zaman dilimine ve coğrafyaya ait olan farklı yazma örnekleriyle ve hatta kodikoloji ve kaligrafi bilimleri çerçevesinden de teyit edilmesi gereklidir.

Anahtar Kelimeler: Arapça yazma eser, broşür, ciltleme, defter, kodikoloji, kaligrafi.

Notebooks in Islamic Heritage: Observations on structure and gender
Prof. Dr. Mustafa Al-Toubi
Abstract

Research on the topic of, "Notebooks," in the area of manuscripts of the Islamic heritage is a new field since we don't have at our disposal any bibliographies specialized in the subject.

My contribution is focused on a small collection of forty manuscripts, whose subject is the field of history, dating back to the 12th century. They are located in the Royal Library of Rabat, as well as some private libraries in southern Morocco. I have observed the predominance of octonions, and I have noted the existing bookmarks found in the notebooks that mark the half way point of each notebook as well as some pages that remain blank at the beginning of the manuscript and at the end.

The remarks made do not hinder the diversity of bookmaking methods that differ in terms of the shape of the codex, the source of the media and the place of manufacture.

Keywords: Manuscript, Arabic Manuscript, Fascicle, Pamphlet, Calligraphy.

مقدّمة

تعدُّ الكرّاسة في معطياتها الصناعية الأوّلية العنصرَ المحوريَّ في المخطوط، بصرف النظر عن حضارة المخطوط، واللغةِ التي كتب بها.. فهي النواة الأساسية أو الوحدة المركزية المكوِّنة -مع باقي الوحدات الأخرى- للمخطوط، لأنها في أصلها فرخة أو قطعة رقية متكاملة مرقّقة عبر الوسائل المعروفة من دباغة، وسحل، ونتف، وترقيق، وتليين، وينصرف هَمُّ الصانع أو الورَّاق في لغة الاختصاص في بداءة الأمر إلى هذا العنصر الأوَّلي، وتكون له الحريّة الكاملة في هندسة الكتاب بناء على عدد الفرخات أو الرُّقوق المتّخذة في الصناعة، بل قد تُجْزِئُه فرخةٌ واحدة في صناعة المخطوط، ونكوِّن بإزاء مخطوط كرّاسة.

وتجمَع الكرّاسة على «كراسات»، في حين أن مصطلح «كراس» ينطبق على السفر Codex، ويجمع على كراريس.

وتختلف هذه النواة في عدد الصحائف المزدوجة المشكّلة لها، كما تختلف في حجمها والمادة المصنوعة منها (الورق، أو الرَّق، أو الورق والرق في الوقت نفسه).

وسوف أتطرّق لهذا الموضوع من خلال المحور النظري الذي تعقّبنا فيه المعلومات الجاهزة التي قدَّمها بعض الباحثين المستشرقين، وغير المستشرقين، والمحور التطبيقي الذي سألجأ فيه إلى استدعاء نُتَف من ملاحظاتي لعيّناتٍ من المخطوطات المنتمية لمجموعات مختلفة، وفترات مختلفة أحيانًا، وذلك توخّيا لوضع اليد على بناء الكراسة من الداخل في العالم الإسلامي؛ ويتعلّق الأمر بمخطوطات سوس، ومخطوطات سيدي محمد بن عبد الله بالخزانة الحسنية بالرباط، وعيّنة من مخطوطات الكنتيين، ومخطوطات التاريخ والتصوف بالخزانة الملكية بالرباط، وتعود تطبيقاتنا إلى فترة زمنية محدَّدة؛ ويتعلّق الأمر -أيضًا- بعيّنة من مخطوطات التاريخ تعود إلى القرن الثالث عشر، وعيّنة من مخطوطات التصوف تعود إلى القرن الثاني عشر الهجري. ولعلّ القول في صناعة الكرّاسة في هذا المجال بالضبط سيعطينا نظرة نسبية وتقريبية عن صناعة الكرّاسة في التراث العربي الإسلامي بشكل عام، رغم كِبَر الرهان الذي نتوخّاه.

١: مفهوم الكرّاسة

لا بدّ في البداية أن نتحدّث عن مفهوم «الكرّاسة» Cahier لغةً و اصطلاحًا في علم المخطوطات، ونوضّح الاختلاف بينها وبين بعض المصطلحات الأخرى القريبة منها، مثل «الكرّاس» ،و«الملزمة»، و«الدفتر» أو «التفتر».

لقد عرَّفنا «الكراسة» في معجم مصطلحات المخطوط العربي بما يلي: «سمّيت كراسة لتكرُّسها، والتكرُّس التجمُّع. وقد عرَّفها القدماء بأنها مجموعة من الأوراق قريبة من الملزمة. وتتركَّب غالبًا من عشر ورقات، وقد تزيد أو تقلُّ عن هذا العدد».[١]

وقد أوردنا الكرّاس مرادفًا للكرّاسة في اللغة. أما الاصطلاح فإني أرى أمرًا آخرَ، هو ضرورة التمييز بينهما حتى يكون «الكرَّاس» مرادفًا لل«كوديكس» Co-dex. أما الملزمة فهي رباعية بالضرورة.

«الدفتر هو المكوَّن من ست عشرة صفحة»،[٢] ويقصد به: الجِلد في اللغة اليونانية. وكان يعني اللُّفافة البردية، وهو تقييد يضمُّ ما يضمُّه الكُنَّاش من فوائد وشوارد وأخبار.

وقال المؤرِّخ اليوناني «هيرودوت»: «إن كلمة «دفتر» من الكلمات الفينيقية التي تسرَّبت إلى اليونانية قديمًا. ودخلت العربية عن طريق الفارسية، واستعمِلت في عهد معاوية لكتاب أو ملزمة في مقابل «لفيفة» الأوراق المتناثرة، وقد ظهرت في الآرامية والسريانية وفي النصوص اليهودية،»[٣]وهكذا نستبعد مصطلح «الدفتر» لاتساع معناه، ونستبعد مصطلح «الملزمة»، لارتباطها أساسًا بالرباعيات، ونُبقي على الكرّاسة بوصفها مصطلحًا مرنًا يراعي النوع بشكل ظاهر.

تتكون الكراسة من فرخة[٤] كاملة مطوية عددًا محدَّدًا (x) من الطيّات، ولعلَّ نوع

١ مصطلحات الكتاب العربي المخطوط، لأحمد شوقي بِنْبِينْ ومصطفى الطوبي ٢٨٧.

٢ السابق ٣٤١.

٣ مصطلحات الكتاب العربي المخطوط ١٥٠.

٤ الورقة الكاملة قبل الطي، وسمّيت كذلك بالخصوص في مصر في العهد المملوكي (القرن التاسع الهجري)– In plano ،واستعمل هذا المصطلح القلقشندي في موسوعته «صبح الأعشى»، وأعتقد أن استعمال مصطلح «الفرخ» =

الطيّ هو الذي يتحكَّم في حجم الكراسة (كلّما قلّ الطي تكون الكراسة كبيرة عادة، وكلّما كثُر الطيّ تكون الكرّاسة صغيرة عادة). ونظرًا لأن المادة المكتوبة قد تكون ورقًا أو رقًّا أو برديًّا، فإننا نرغبُ عن استعمالِ الورقة إلى استعمال الصحيفة، وقد دأبتُ على استعمالها شخصيًّا منذ أن ترجمت كتاب «مدخل إلى علم المخطوط» لجاك لومير، فنقول وجه الصحيفة وظهر الصحيفة. وهي تتضمّن الرقّ والورق على السواء، ونرمز للوجه بالحرف (و)، ونرمز للظهر بالحرف (ظ)، ونستعمل إذا كنّا بإزاء صحيفة رقّية وجه الشعر، ووجه اللحم، وهما كما نرى مصطلحان سيئان، وقد كنت استبدلت بهما مصطلحي «الوجه الداخلي» و«الوجه الخارجي»، وأنا أقصد طبعًا وجه اللّحم الذي يكون داخليًّا بالضرورة، ووجه الشعر الذي يكون خارجيًّا بالضرورة، إلا أن هذين الاصطلاحين لم يلقيا صدًى عند المتلقِّي لعدم الوضوح أو عدم الكفاية أو غياب التراكمية في البحث الكوديكولوجي العربي.

وقد تمسّك «فرانسوا ديروش» بمصطلح «الكرّاس» بوصفه مرادفًا للكرّاسة، يقول: «والكرّاس هو مجموع من الأوراق المتداخلة بعضِها في بعض، ويجمعها مرور خيط واحد للتجليد،»[1] وأتذكّر أنني قد ناقشته في كفاية المصطلح المذكور، وعلاقته بمصطلح الكرّاسة سنة ٢٠٠٠م بالرباط، خلال دورة تدريبية لمؤسّسة الفرقان كنت حاضرًا زمنئذ، لمحاضرته عن صناعة الكراسة في الغرب، وأصرّ هو على الفهم الذي أراده للكرّاس. والحقّ أن استعمال الكرّاس بهذه الصيغة قد ترادف عند بعض الباحثين مع «الكوديكس» أو الكتاب المخطوط المصنوع من خلال عدد محدَّد من الكراسات (جمع كراسة)، وكنت قد وقفت على استعماله عند محمود عباس حمودة في كتابه: «تاريخ الكتاب الإسلامي المخطوط» بمعنى المخطوط أو «الكوديكوس» فأعجبني هذا الفرز الاصطلاحي، وتبنّيته عن اقتناع، ومنذ ذلك الحين أصبحت أميّز بين الكرّاس والكرّاسة، ولا أخلط بينهما، ويجمع الكرّاس على الكراريس، في حين تجمع الكرّاسة على الكراسات.

= عوض الفرخة الذي دأب عليه بعض الباحثين خطأ فادح يجب التنبيه عليه.

١ المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي ١٢٢.

٢: منهج الاشتغال

لا يمكن أن يكون الحديث عن الكرّاسات مجانيًا، وأقصد الاستقاء من المادة الجاهزة عند خبراء المخطوطات، أو حتّى من عند علماء المخطوطات المتخصّصين، وأسجّل بدءًا أن المعلومات القليلة المهرَّبة بخصوص الكرّاسات الإسلامية لا ترقى إلى مستوى التركيب،[١] ولا أدّعي شخصيًّا أنني سأصل إلى مستوى التركيب، وإنما أقول إن هناك إرهاصاتٍ صارمةً في سبيل لملمة التصميم المنهجي الذي يحدو بالباحث إلى الرغبة عن الثرثرة المجانية إلى الملاحظة المباشرة؛ أقصد الملاحظة البنّاءة المبنيَّة على موجِّهات صارمة.

وقد آن الأوان لنؤكّد القطيعة الإبستيمولوجية مع العوائق المعرفية التي شكَّلت همًّا حقيقيًّا لعلم المخطوطات، دون التقدُّم المنشود؛ لأن بعض خبراء المخطوطات استمرّوا في أحكامهم الجاهزة دون انتباه إلى الجديد المنهجي الذي حَمَلَهُ العِلمُ، وهو الإمساك بالصورة المادية للمخطوط، وهكذا فإن التوجيه المنهجي المتوخَّى سيُملي علينا الآتي:

- التركيز على الملاحظة العينية للكرّاسات دون أفكار أو معلومات مسبَقة مشوِّشة على نتائج البحث والمعاينة. وتكون الملاحظة مرتكزة عادة على التقليب اليدوي للصحائف، حتى نتأكّد عمليًّا من عدد الصحائف المكوّنة للكرّاسة بناء على ضرورة الاهتداء إلى وسط الكراسة بواسطة صُوَّةٍ[٢] وسط الكراسة.

- التعويل على البعد الكمّي في «شرعنة» النتائج المتوصَّل إليها، وإلا فالكلام في الموضوع سيكون مجرَّد ارتسامات، وملاحظات أولية.

- الأخذ بعين الاعتبار البعد الزمني في بناء فرضية البحث، وكلّما كانت الأزمنة الكثيرة حاضرة؛ كانت الأحكامُ أقربَ إلى الانطباعات منها إلى التراكيب

١ أقصد بالتركيب الأحكام العلمية المفحمة والنهائية، وهو كلام كبير بعض الشيء؛ لأن كل النظريات المقترحة في علم المخطوطات والمنسلكة في التركيب، من مثل «نظرية غريغوري» معرضة للانتهاك.

٢ الصوة هي العلامة.

العلمية الصارمة. وقد رأيت أن الاشتغال بوعاء زمني يتّسع لقرن فقط كفيلٌ بإعطائنا أحكامًا قريبة إلى الدقّة والسلامة على نحو ما فعلته بالقرن الثاني عشر والثالث عشر في اشتغالي بالتصوف والتاريخ.

- إعطاء الأولوية للنسبة المئوية المهيمنة في بناء الفرضية.

- وضع فرضيات البحث؛ إذ لا يمكن أن يستقيم البحث بدون فرضيات، ومن هذه الفرضيات مثلًا: هل المِعْقَبُ كان عنصرًا أساسيًّا في صناعة كراسات المصاحف في القرون الهجرية الأولى أم أنه كان حالة شاذة؟ هل الخماسية تشكّل النوع الأكثر اطرادًا في صناعة الكراسات في الغرب الإسلامي أم لا؟ هل يتفرّد الشرق الإسلامي بالرباعية، ويتفرّد الغرب الإسلامي بالخماسية أم لا؟ هل كانت الثلاثية عنصرًا رائجًا في صناعة كرّاسات المصاحف؟ وهل هناك حقًّا ما يسمّى بالكرّاسات الأحادية في إفريقيا؟ وهناك فرضية كبيرة جدًّا أحب أن أزفَّ بها في هذا الباب: هل كانت الصحائف المزدوجة تقدَّم بطريقة مسبقة لكي نصنع الكراسة، أم أن ظاهرة الطيّ كانت رائجةً أيضًا في العالم الإسلامي؟ هل هناك تجلياتٌ ما لقاعدة «غريغوري» أو قاعدة المواجهة في صناعة الكرّاسات الرَّقِّية، أم هناك نظامٌ آخرُ تحكّم في صناعة الكرّاسة في العالم الإسلامي؟

إنها مجموعة من الفرضيات التي يمكن أن توجّه الباحث في أبحاثه العلمية من أجل التأكيد أو الرفض، وهذه الفرضيات مرتبطة بحجم مادّة الدراسة. وكيفما كان الأمر، فإن المجهود الفردي قد لا يكون قمينًا بتأكيد فرضية من الفرضيات، طالما أن عينة الملاحظة ستكون محصورة جدًّا في عددها وزمانها ومكانها.

تأطير مادة البحث نوعًا، وتاريخًا، ومكانًا. وأقصد أنه لا بدّ من أجل كفاية منهجية وعلمية صارمة أن نؤطّر الملاحظة بإطار نوعي، كأن نشتغل بالرّق وحده، أو نشتغل بالورق وحده، أو نشتغل بالبردي وحده، أو نشتغل بكلّ ذلك في إطار نوع خاص من الكراسات، ولا بدّ من تحديد زمن للدراسة؛ كأن نتحدّث عن القرون الهجرية الأولى، أو نتحدّث عن القرنين الرابع والخامس، أو نتحدّث عن الثاني عشر

الهجري إلخ.. أما المكان فلا بدّ من أن نعيّن مكان الكرّاسات؛ هل يتعلّق الأمر ببلد شيراز، أو فارس، أو الشام، أو الحجاز، أو الغرب الإفريقي والأندلس، أو الصحراء، ومن ذلك أن «فرانسوا ديروش» قد حصر نوع الكرّاسات في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، ولاحظ أن هناك «اثنين وعشرين مخطوطًا من مجموع ثلاثين مخطوطًا فارسيًّا في رصيد مكتبة فرنسا الوطنية نفسه مكوَّنةً من كرّاسات رباعية، ولكن مصادرها متنوّعة تمامًا: شيراز، وأندكان قرب فرغانة، وسمرقند، وقونية، والقرم، والهند. وينطبق الشيء نفسه على المخطوطات التي تتألّف كليًّا أو جزئيًّا من كرّاسات خماسية، وهذه النسخ مصدرها همدان، ودمشق، وكرمان، وكماخ».[١]

٣: صناعة الكراسة في التراث الغربي

انعدم القول في هذه المسألة الحفرية الصميمية في المراجع العربية المخصوصة بثقافة الكتاب، وحتى ما كتِب في علم المخطوطات عند الغرب نجده مقِلًّا في الحديث عن هذا الجانب الحفري، اللهم إلا ما كتبه «ليون جلسان» Léon Gilissen، و«جاك لومير» Jacques lemaire في كتابيهما[٢] في هذا الباب، ويتعلّق الأمر بكتاب: «تمهيد لعلم المخطوطات» المخصّص في أغلبه لصناعة الكرّاسات الغربية، وتوضيح بناء المشهور منها، والقوانين المتحكّمة فيها، وكتاب «مدخل إلى علم المخطوط» الذي ورد فيه فصل في الكرّاسة، وتوضيح صناعتها بدءًا من تحضير الفرخة in–plano أو قطعة الرّق الكاملة، وانتهاءً بصناعة الكرّاسة بعد الطيّ. وتحضّر صياغة الطيّ عند هذين العالمين على شكل كسر حسابي يفصل شريطه الأفقي بين البسط والمخرج.

١:٣: الطي بقطع الربع

تأتي الطيَّة الأكثر تردُّدا في قطع صحيفة بقطع الربع على صيغة ٤١/٣٢، إذ

١ المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي ١٥٣.

٢ وكتاباهما: Prolégomènes à la codicologie و Introduction à la codicologie مرجعان في صناعة الملازم، يراجع الفصل الثالث من كتاب «جلسان»، والفصل الرابع من كتاب: «جاك لومير».

يُطوى الجلد للوهلة الأولى تعامديًّا مع فقار الحيوان، ويرمز إلى الطية الخط (AB)، ويبسَط شقّ الجلد من هذه الطية بطريقة تظهر بها دائما الصحيفة ١ و°. وتستجيب رباعيّة من هذا القبيل للصيغة ٨١/٧٢ + ٤٥/٣٦. والطريقة البسيطة للتعبير عن هذا الوضع هي A^2 (A أس٢) ترمز A إلى ٤٥٨١/٣٦٧٢، أما العدد ٢ فيشير إلى أن قطعتين من الجلد قد أسهمتا في صناعة الرباعية.

إن تشكيل الرباعية لا يقف عند الطريقة المبيّنة أعلاه؛ إذ يمكن أن تتشكّل بطريقة أخرى، ويتعلّق الأمر بالصورة C^2. ويذهب «جلسان» إلى أن هذه الصياغة قليلة الحصول في المخطوطات، ولوحظت في المخطوط باريس خ. و. لاتيني ٢٨٥٥. وتنتج عن طيّ قطعتين من الجلد مجتمعتين وجهًا لوجه؛ الجهة العليا في مقابلة الجهة العليا، والجهة السفلى في مقابلة الجهة السفلى.

٢:٣: الطي بقطع الثمن

يشير هذا الضرب من الطيّ إلى إمكانية الحصول على ملزمة من ثماني صحائف، إما انطلاقًا من فرخة واحدة أو أكثر. ورمز العلماء للصياغة الأولى بـ A حيث ٣٦٧٢/ ٤٥٨١ = A ويشير A دائما إلى العدد نفسه ٤٥٨١/٣٦٧٢، بيد أن غياب الأسّ يعني أن الرباعيّة قد تشكّلت من قطعة جلديّة واحدة. تطوى القطعة الجلديّة في بداية الأمر من المحور (AB) في موازاة مع فقار الحيوان. وقد رمز لهذه الطيّة الأولى بالخطّ الأفقي الذي يفصل صورة الكسر عن مقام الكسر. وبعد الطيّة الأولى، نطوي الصحيفة المزدوجة المحصّل عليها حسب المحور (CD)، ونبسط الجزء ACD وراء الجزء BCD. وهكذا نحصل على صحيفتين مزدوجتين نطويهما من المحور EF، ونبسط الجزء CEFD وراء BEFG لنكوّن في النهاية رباعيّة منتظمة.

وهناك نموذج آخر لصناعة الرباعيّة أطلق عليه الحفريون النموذج B ويساوي ٨١٤٥ / ٧٢٣٦، والرباعيّة هنا مكوّنة من قطعة جلديّة واحدة منطوية بقطع الثمن، والطيّة الأولى فيها مشابهة لتلك المتعلّقة بالنموذج A. إن الفحص الحفري للرباعيّة

المصنوعة بحسب النموذج B في هوامش الفوق يجعل الصحائف ١-٢ و٣-٤ و٥-٦ و٧-٨ تشهد على تماسكها القديم. وكذلك حوافي طرر١-٤ و٢-٣.

وهناك نموذج ثالث لصناعة الرباعيّة هو النموذج C، وهو يساوي 8127/ ٥٤٣٦=C. ويختلف هذا النموذج منذ الطيّة الأولى عن النموذجين A و B. إذ تطوى القطعة الجلديّة أوَّلًا تعامديًّا مع فقار الحيوان، مع إرجاع الواحد وراء الآخر الرأس والذيل. وانطلاقًا من ذلك، نطوي ٤ظ T5 وراء ١ ٨ ظ مع جعل AO فاصلًا، وتُطوى القطعة الجلديّة المنطوية بهذه الطريقة للمرة الثالثة والأخيرة، وذلك بطي ٨ظ A وراء ٠١.

النموذج D=٢٧٨١/ ٣٦٥٤ يلاحظ «ليون جلسان» أن هذا النموذج قليل الورود.

والطيُّ في النموذج D لا يختلف عن النموذج C إلا في الطيَّة الأخيرة، فعِوض أن نطوي ٨ظ A وراء ٠١ نطوي ٨ظ A على ٠١.

وإذا كانت هذه خلاصة ما توصّل إليه العلماء بخصوص نماذج الطيّ عند الغربيين، فإن المخطوطات العربية في الشرق قد انزاحت عن مجموعة من القواعد الغربية، وفي طليعتها قانون المواجهة (غريغوري). إذ يذهب «فرانسوا ديروش» بهذا الخصوص إلى أن الجهة العليا في الملزمة كانت تقابلها الجهة السفلى، وكانت صحائف الملزمة تتوالى على هذا النمط.

P/C, P/C, P/C, P/C, P/C + C/P, C/P, C/P, C/P, C/P

ويشير حرف (P) إلى كلمة Poil «شعر» و«حرف» C إلى كلمة chair «لحم». ويذهب هذا الباحث أيضًا إلى أن أغلبيّة المخطوطات مكوَّنة من ملازم ذات عشر صحائف، ومرجع ذلك حسب زعمه هو عُسر الطيّ، إذ إن الطريقة التي استعمِل بها الرَّق لتشكيل كلّ ملزمة تظهر الترابط نفسه في تقاليد صنّاع الكتاب؛ فوجه الصحيفة الأولى (أو الجهة الأولى) هي دائمًا الجهة العليا من الرَّق.. ويخلُص هذا الباحث إلى أن قاعدة «غريغوري» لا تطبّق حين تكون الملزمة مفتوحة، إلا أننا نجد جهتين خارجيّتين، الواحدة في مواجهة الأخرى في نقطة التقاء ملزمتين.

وفي الوسط نجد جهتين داخليّتين.[1]

وحينما يتحدّث عن صناعة الملازم في المغرب، فإنه يسجل في بادئ الأمر، أن الرَّق بقي مستعمَلا لمدة طويلة، وخاصّة بالنسبة لنسخ القرآن؛ إذ إنه بقي إلى القرن ٨هـ/١٤م، وربما إلى القرن ٩هـ/١٥م إلى جانب الورق، وأشكال الطيّ جاءت على النقيض مما وقف عليه، في الشرق، مطابقة لقاعدة غريغوري.[2]

٤: علاقة الكراسة بمباحث علم المخطوط

لا بدَّ أن أشير إلى أن صناعة الكراسة ارتبطت في الأدبيات الغربية المتخصِّصة بعنصرين أساسيين: عنصر الترتيب والخزم، وعنصر التسطير وإخراج الصفحة. وتعدُّ مسألة ترتيب الصفحات L'imposition من أهمّ مباحث الحفريات التقنية. فنحن حين نمسك الكتاب المخطوط في شكله النهائي، ونبدأ تصفُّحه نتساءل عن اللحظة التي قُطعت فيها فرخاته أو طَلْحِيَّاته المشكّلة للملازم. إننا قد تحدَّثنا في المبحث السابق عن مسألة الطيّ، وأظهرنا أن الطيّ ضروب عديدة، وكلّها لِبنات أساسية في صناعة الكرّاسة. والآن نحن أمام مسألة مترتّبة على الطيّ بشكل مباشرٍ عمليًّا، تلك هي التسوية النهائية للصحائف الملتحمة، ومباشرة عملية القطع، والنسخ، والترقيم، وغير ذلك..

لا شكّ أن كلَّ من اطلع على مادة المخطوط باعتباره أثرًا ماديًّا مصنوعًا تحضره تساؤلات كثيرة، ومن ذلك: هل قُطعت الصحائف قبل كَبْسِ الملازم في كتاب مخطوط؟ أم قطعت بعد عملية تسوية الملازم بين دفتي كتاب؟ وهل كان النُّسَّاخ القدامى يباشرون الكتابة على الفرخات الكاملة، وبعد ذلك يعيدون طيّها بعد أن كانت قد طُويت فارغة؟ أم أنهم كانوا يكتبون عليها، وهي مجهّزة للكتابة، وتأتي عملية الطي بعد ذلك على حسب مساحات الكتابة؟ أم أن عملية الكتابة كانت تأتي بعد إنجاز كلّ العمليات بما في ذلك التسوية والطي، وقطع الصحائف الملتحمة؟

---

١ The codicology of the islamic manuscripts p.29

٢ نفسه ٣٥.

ثم هل كان النسّاخ يسَطِّرون ويثقُبون، ويرَكّبون الصفحات قبل الطيّ أم بعده؟ وهل كانت تتمّ هذه العمليات في كل صحيفة مستقلّة، أم في مجموعة من الصحائف دفعة واحدة؟ وهناك أسئلة أخرى كثيرة تبقى محيّرة لعالم المخطوطات، ولسنا في معرض تعدادها، وإنما حسبُنا أننا أومأنا إلى وجودها.

ولعلّ الباحثين الغربيين في علم المخطوطات قد آنسوا صعوبة الحسم في مثل هذه القضايا الشائكة فاكتفوا بالافتراض؛ وهكذا نجد أن «بوزولو» C.Bozzolo و «أورنطو» E.Ornato[١] قد استندا على الافتراض في مسألة قطع الصحائف.

ولم يحسم «ليون جلسان» هذه المسألة، فهو لا يكاد يطمئنّ إلى قانون يفسِّرها حتى تعنَّ له فرضيات جديدة تقوّض زعمه الأول. إنه ينطلق –أيضًا– من مجموعة من الاستفسارات اللافتة للنظر؛ ومن ذلك: في أي لحظة من مسار الصنع يبدأ الناسخ الكتابة؟ وفي أي لحظة يتمّ فكّ الأوراق؟ ومن يقوم بهذا العمل أهو الكاتب؟ أم الناسخ؟ أم المجلِّد؟ وإذا كان الناسخ، هل ينطلق من القطع النهائي؟ أم يقطع الصحائف في موازاة مع عمله؟ لقد لاحظ «ليون جلسان» أن هناك مجموعة من الصحائف التي صادفها غيرَ مقطَّعة؛ منها صحائف كثيرة مسطَّرة، ولكن غير مكتوبة. فذهب إلى أنه يجب أن نفكِّك الملزمة دون قصّها لكي نكتب عليها.[٢] وتارة نجد أنه يذهب إلى عكس هذا حينما يلجأ إلى مرتكَزات حفرية أخرى، ومن ذلك أنه يلاحظ أن الناسخ يحمل في يده سكينًا في الغالب، ويدرأ فرضية أن تكون مهمّة السكين مقتصرَة على كشط بعض الأخطاء القليلة. فالسكّين، حسب زعمه، يستعمَل للمحافظة على حجم الرَّق، ويستعمَل في بري القلم، ويستعمَل أيضًا –وهذا هو بيت القصيد– في قطع أوراق الملزمة المطوية، ويكون هذا القطع في موازاة مع حاجيّات النِّساخة.[٣]

وأكّد «جاك لومير» ما جاء به الباحثون قبلَهُ، وعلى رأسهم «ليون جلسان». فهو

١ وهما باحثان بالمركز الوطني للبحث العلمي بباريز (CNRS) شعبة الإنسانيات.

٢ ينظر: Prolégomènes à la codicologie p.37

٣ ينظر: Ibid p.39

بدوره بقِي تائهًا في سرب من الأسئلة، بيد أنه أخرج الفرضية القائلة إن الناسخ يقطع صحائف الملزمة المجموعة بالطيّ مباشرة قبل الشروع في النساخة، مدّعيًا أن لا شيء يؤكّد ذلك يقينًا، ولم يقدّم أي حسم حفري، واكتفى بتأكيد ظاهرة طيّ الأوراق والجلود المشهود عليها بدلائلَ مادية غيرِ قابلة للنقاش.[١]

وكان الصنّاع الوسيطيون يثقُبون الصحائف بعد عملية الترتيب. والثقوب هي آثار حفرية حاضرة في المخطوطات الغربية حسب ما ذهب إليه الباحثون في هذا المجال. وقد نُصادف كرّاساتٍ فارغة من الثقوب، إلا أننا لا يمكن أن نطمئن إلى أنها لم تثقَب. إن الثقوب في جوهرها أصواءٌ ذات طابع تقني كانت تدخل في إعداد صناعة المخطوط الوسيطي. وقد أُثيرت بشأنها مشكلات مشابهة لتلك المتعلّقة بالترتيب؛ ومن ذلك: في أيّ لحظة من لحظات صناعة الملزمة يتمّ خزم الصحائف؟ وقد أسهب «جاك لومير» J.Lemaire في الحديث عن تنوّع علامات الخزم وأنماطه؛ ومن ذلك العلامة المدوّرة، والعلامة التي هي في شكل مثلّث متساوي الأضلاع، أو في شكل خط صغير مستقيم. وكلّ هذه العلامات تحمل إشارات مهمَّة عن أصل الكتاب وزمنه.[٢]

أما فيما يخصُّ أنماط الغرز، فتحدّث «جاك لومير» عن ثقوب التجليد، ولاحظ أنها قليلة، وهي حاضرة على كلّ حال، وذاتُ فائدة كبيرة. أما الوقوف بها حفريًّا فهو أمر صعب، وفي بعض الأحيان لا تلاحظ إلا في لحظة الترميم.[٣] وتحدَّث أيضًا عن ثقوب صناعة الكرّاسة. وملاحظة هذه الثقوب أيسرُ من ملاحظة ثقوب التجليد، وكانت هذه الثقوب تستعمل للإشارة إلى المكان الذي يجب أن تنجَز فيه أول طيّة في مادّة الكتابة.

والمسألة الثانية المرتبطة بصناعة الكرّاسة هي مسألة التسطير؛ ويُفضي بنا الحديث عن مسألة التسطير مباشرة إلى الحديث عن إخراج الصفحات، فالعلاقة

١ ينظر: The codicology of the islamic manuscript p.30

٢ ينظر: Introduction à la codicologie p.96

٣ ينظر: Ibid p.99-100

بينهما هي في الأصل علاقة الجزء بالكلّ. ولعلّ أهمّ ما يمكن ملاحظته بهذا الصدد هو أن عنصر التسطير كما طبّق في المخطوطات العربية مختلف عن ذاك الذي عُرف في الحضارة الغربية القديمة، فالعرب قد عرفوا المُسَطِّرَةَ (بتشديد حركة الطاء وكسرها) واستعملوها في تسطير مخطوطاتهم. وتركيب الصفحات -كما سبقت الإشارة سابقًا- هي مسألة كليّة تحرص على تناغم الصفحة برمَّتها، مستعينةً في ذلك بمعطيات هندسية دقيقة. وقد استعمل الغربيون مجموعة من الأشكال الهندسية والأعداد الرياضية للتعبير عن وصفات المخطوطات الملاحظَة. أما عند العرب فليس هناك حديثٌ عن تركيب الصفحات، وهم إنما يتحدثون عن التسطير بشكل عابر. ونجد إرهاصًا مبتسرًا لهذا الأمر في كتاب مخطوط رائد في هذا المجال تحت عنوان: «لآلىء السمط في تقويم حسن الخط» للرفاعي، إذ إنه لامس إخراج الصفحة بعض الشيء، وإن لم يعبّر عن هذه المسألة باسمها.

أما تركيب الصفحات في الكوديكولوجيا الغربية فهو لبِنَة جوهرية في المعالجة الأركيولوجية للمخطوطات. وقد تحدّث الغربيون، بشيء من العمومية، عن الفضاء الكلّي لصفحة الكتاب التي تنقسم أصلًا إلى أَدْرَاجِ الكتابة (جمع: دَرْج) والحواشي، فنلاحظ أن الكتب التي هي في شكل كرّاس «كوديكس» كانت تنقسم إلى عدة أدراج،[1] وأرجع هذا الاستعمال إلى عصر البَرْدي. وانطلاقًا من القرن الرابع بدأت النصوص تتوزّع إلى أربعة أدراج. وفي العصر الوسيط كانت تنسَخ الكتب في سطور طويلة، أو ذات دَرْجين. وفي العصر «الكارولانجي» ارتفع عدد المخطوطات المنتسخَة في ثلاثة أدراج.[2] أما «ألبيرت دورلز» فقد انتهى بعد دراسته للمخطوطات الإنسانية إلى أنه في اللحظة التي فضل فيها الكتّاب «الغوطيون» وضع النصوص في دَرْجين، فإن الكُتَّاب الإنسانيين اختاروا شكل الخطوط الطويلة.[3]

وانصبَّ الاهتمام، مع العلماء المتأخرين، بمعطيات هندسية أكثر دقّة، فوقفوا على الأشكال الهندسية البارزة؛ وفي مقدِّمتها مستطيل «فيتاغورس» الذي يطابق المعادلة

١ درج الكتابة الفضاء المكتوب في الصفحة وهو ما يطلق عليه تجاوزا: «عمود الكتابة».

٢ ينظر: Paléographie de l'antiquité romaine et du Moyen âge occidental p.35-36

٣ ينظر: Codicologie des manuscrits en écriture humanistique sur parchemin p68

٤/ ٣، وذلك لأننا نتوصّل إليه بقلب رأسٍ لقدمين مثلثين لفيتاغورس. ويتحدّث أيضا عن المستطيل الذهبي. ومستطيل الذهب هو ذاك الذي من زاويته الكبرى يساوي ١، ومن الصغرى ٠,٦١٨. أما المستطيل الثالث البارز فهو يجمع متوالية من المستطيلات متداخلة الصنع في غاية السهولة. وفي صنعنا لكلّ مربع جديد ننطلق من المربع السابق، فنجعل من قُطْره الضلعَ الأكبر في المستطيل المحصّل عليه.[١] وهكذا «فجاك لومير» مثلًا يذهب هذا المذهب مبيّنًا أنه حينما نكون بإزاء الصحيفة الموصوفة، فعلينا أن نسجّل أعدادها من اليسار إلى اليمين، مستعينين في ذلك بمسطرة ميلمترية. وفي وصفنا الأفقي للصحيفة نفرّق بين كل حجم بالعلامة (+). أما حينما نبدأ في تسجيل معلومات في الاتجاه الآخر فنرمز إلى ذلك بالعلامة (X)، ويقدم «جاك لومير» نموذجًا عدديًّا سيفهم من خلال نسبة الأسطر المستغَلَّة، ومفهوم وحدة التسطير، وهو ما يلي: ٧٥ + ٣٩٦ + ٣٩ + ٩٧ + ٨ + ١٠ + ٨ + ٩٧ + ٨ + ٤٠ (كل عدد من هذه الأعداد يطابق أدراج الكتابة أو المساحات الفارغة، وعدد الأسطر في الصحيفة هو ٤٧. إذن فعدد الأسطر المكتوبة يساوي عدد الأسطر – ١، أي: ٤٧ – ١ = ٤٦. أما وحدة التسطير فتساوي حجم المكتوب: عدد الأسطر. أي ٣٩٦: ٤٦ = ٦٠٨،٨ ملم. ويرمز لوحدة التسطير بالحرفين «UR» رمزنا له باللغة العربية بالحرفين: «وت»[٢]، وت = ٦٠٨,٨.[٣]

إن هذا الوصف العددي للمعطيات المعايَنة في تركيب الصفحات ييسر مهمَّة الاطلاع على الخصائص الهندسية للمخطوطات.

٥: كراسات المخطوطات الإسلامية

تكاد الكرّاسات في العالم العربي الإسلامي تأتي على كلّ الأنواع بدءًا من الأحادية، وانتهاء بالعشارية، وهي نادرة جدًّا، وأنبّه على أن أنواع الكرّاسات تختلف حسب المكان والزمان وأحجام المخطوطات، ولذلك فإن الحديث عن الكرّاسات

١ يراجع Prolégomènes à la codicologie p 128 et p.s

٢ المقصود بالحرفين: وحدة التسطير.

٣ يراجع Introduction à la codicolgie ، ص ١١٩ وما بعدها.

دون الأخذ بعين الاعتبار الاختلاف «الزمكاني» والحجمي هو ضربٌ من الهذيان؛ إذ تكون للثلاثية مثلًا مكانةٌ في التردّد الصناعي في القرن الأول والثاني، لم تبقَ لها قطُّ في القرون الموالية. كما أن الرباعية قد هيمنت على باقي الأنواع في القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجريين في شيراز، وإيران، وتركيا، والهند على خلاف الخماسية التي هيمنت في شمال إفريقيا، والمغرب بوجه خاص. وتختلف نوعية الكرّاسة أيضًا بحسب الجرم أو الحجم، وهو ما يفسر وجود الأحاديات أو الثنائيات في المصاحف ذات الأجرام الكبيرة جدًّا، وفي مقابل ذلك، نلاحظ هيمنة الثمانيات والعشاريات فيما يسمَّى بكتب الجيب أو كتب الأسفار، أقصد الكتب التي صنِعت مهيَّأة ليسافر بها أصحابها على نحو رَبْعَات المصاحف، وكتب التوسّلات، والنبويات، مثل دلائل الخيرات التي أَلِف الناس أن يحملوها معهم في حلِّهم وترحالهم.

وإني في هذا البحث سأركّز على عدد من المجموعات التي اشتغلت بها في فترات متباينة مؤكِّدا أن عملي لن يبارح مرحلة الارتسامات الأولية، أو الاشتغال الميداني المحدود في السنَد الكمي.

١:٥: ارتسامات حول بناء الكراسة في مجموعات صغيرة

سأقدّم في هذا المحور عددًا من الارتسامات التي كنت قيَّدتها من خلال عدد محدود من المخطوطات التي فحصتها بيدي، وأحصيت صحائف كرّاساتها عددًا؛ إذ يفترض أن يكون الرائز في معرفة نوع الكرّاسة هو وسطها؛ إذ تظهر هناك خيوط الخياطة، (يُنظر الصورة رقم: ١)، أو تختفي الخيوط لأسباب تاريخية وتبقى علامات وسط الكرّاسة ظاهرة، وهي في الغالب عبارة عن عين مائلة توضع في الركن اليميني الأعلى من الصحيفة، وقد تكون هناك علامتان؛ واحدة في الركن الأعلى من صحيفة اليمين ضمن الصحيفة الوسطية المفتوحة، والأخرى في الركن الأسفل من صحيفة اليسار (يُنظر الصورة رقم: ٥).

أشير أولا إلى أنني زرت عددًا وفيرًا من مكتبات المدارس العتيقة بسُوس وعاينت نزرًا من كراريسها على نحو مخطوطات مكتبة مدرسة سيدي عبد الرحمن/ قبيلة

ايت آمر، ومخطوطات المدرسة الأغيلالنية، ومخطوطات مدرسة «تراس» بانزكان، ومخطوطات مدرسة سيدي سعيد الشريف ببيوكرى، ومخطوطات مدرسة المسجد الكبير بتيكوين، ومخطوطات المدرسة التيدسية، ومخطوطات المدرسة الأزاريفية، ومخطوطات المدرسة التازروالتية، ومخطوطات مدرسة تنالت، ومخطوطات مدرسة إداومنو..، وكنت أجد أنها في أغلبها تستجيب لنظام بناء الكرّاسة الخماسية، وهي المكوَّنة من خمس صحائف مزدوجة، مع بعض الاستثناءات القليلة في الرباعيات، بصرف النظر عن التاريخ الذي يمتدُّ أحيانًا لقرون. وعمومًا يمتدُّ الوعاء الزمني من القرن الحادي عشر إلى بدايات القرن الخامس عشر، ونادرًا ما توجد مخطوطات ممتدّة في القِدَم.

ثم إنني كنت اشتغلت بمخطوطات سيدي محمد بن عبد الله (القرن الثاني عشر الهجري) في ندوة شاركت بها في فاس المغرب، فلاحظت هيمنة الخماسيات في صناعة المخطوطات على نحو ما هو حاصل في مخطوطات «الجامع الصحيح الأسانيد» الموجود ة بالخزانة الحسنية بالرباط، والتي تحمل الأرقام الآتية: مخطوط الخزانة الحسنية رقم: ٥٨٦٦، و مخطوط الخزانة الحسنية رقم: ٨٦٠٩، ومخطوط الخزانة الحسنية رقم: ٧٣٠٧، ومخطوط الخزانة الحسنية رقم: ١١١٥١-١٧٠٨، و مخطوط الخزانة الحسنية رقم: ٥٥٤٦، ومخطوط الخزانة الحسنية رقم: ٨٠٧، ومخطوط الخزانة الحسنية رقم: ١١١٧٢، ومخطوط الخزانة الحسنية رقم: ١٢٨١٠، ومخطوط الخزانة الحسنية رقم: ١١٩٢٢، ومخطوط الخزانة الحسنية رقم: ١١١١٨، ومخطوط الخزانة الحسنية رقم: ١١١٦٠.

وكنت اشتغلت أيضًا بمخطوطات الكنتيين بمناسبة مؤتمر علمي عالمي بمدينة كلميم بالمغرب، وانتهيت إلى مجموعة من النتائج مرتبطة بعيّنة من مخطوطات المجال، منها «ديوان الصبابة»؛ إذ اشتغلت فيه بثلاث نسخ تختلف تمامًا في شكلها المادي النسخة خ، ح، رقم: ٧٦٧، والنسخة خ، ح، رقم: ٨٦١، والنسخة خ، ح، رقم: ٣١١. ففيما يخصّ النسخة خ، ح، رقم: ٧٦٧ التي تبدأ بقوله: «الحمد لله الذي جعل العاشقين بأحكام الغرام رضا، وحبَّب إليهم الموت في حب من يهوونه فلا

تكن يا فتى بالعذل معترضا..» فهي متآكلة ومخرمة، ومكوّنة من كرّاسات ثلاثية، وأوراقها ملوّنة، وهي مكونة من ٦٧ ورقة، أما غلافها فهو مختلف عن مجموع الكراسات، وهو بذلك غلاف دخيل. أما النسخة خ، ح، رقم: ٣١١ فهي نسخة أخرى مختلفة نوعيًّا عن النسخة السابقة، إذ إن تسفيرها مغربي أصيل، ونلاحظ أن كرّاساتها رباعيّات. أما النسخة خ، ح، رقم: ٨٦١ فهي أحسن نسخة من «ديوان الصبابة» موجودة بالخزانة الحسنية بالرباط، وقد جاء في هذه النسخة في مستَهلِّها أبيات تظهر الموضوع العلمي لهذا العمل:

كتاب حوى أخبارَ من قتلَ الهوى ... وسارَ بهم في الحبِّ في كلَّ مذهب
مقاطيعه مثل المواصل لم تزل ... تُشَبَّبُ فيها بالرَّباب وزينب
فهم ما هم تعرفهم بسيماهم ... قد تركهم الهوى كهشيم المحتضر
وأصبحوا من علَّة الهوى على قسمين ... فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر

وهذه النسخة مكوّنةٌ من كرّاسات رباعية؛ إذ يظهر في وسط كلّ رباعية خيطُ الخياطة، ونجد أن تركيب الصفحة فيها محترم على آخره، وما زالت آثار المسطرة ظاهرةً فيها.

أما عن كتاب «تلخيص إظهار صدق المودة» فأريد أن أقول في النسخة خ، ح، رقم: ٧٤٠ م مجموع، التي توجد أيضًا بالخزانة الحسنية بالرباط، والتي جاء في أولها: «قال الشيخ الحافظ العالم العلم الصدر المحقق؛» إنها مكوَّنة من خماسيات منتظَمة تظهر أواسطها بشكل جليّ.

٢:٥: نماذج تطبيقية في صناعة الكرّاسة

أقصد بالتطبيق محاصرة الموضوع والزمن والعدد، وقد اشتغلت بعيّنتين بهذه الصورة: الأولى مكوّنة من أربعين مخطوطًا من مخطوطات التاريخ بالخزانة الحسنية بالرباط، تشترك في كونها مكتوبة كلّها في القرن الثالث عشر الهجري، فألفيت أن سبعين في المائة من هذه المخطوطات عبارة عن خماسيات من مثل النسخة رقم

٢٤٢ من كتاب «البدور الضاوية في ذكر الشيخ وأصحابه وتلامذته وبناء الزاوية» (مناقب الشيخ علي العكاري) لعلي بن محمد بن علي العكاري ١٢٣٣هـ، والنسخة رقم: ١٦٣٧ من كتاب «تحفة الألباب ونخبة الإعجاب» لمحمد بن عبد الرحيم بن سليمان بن أبي الربيع القيسي الغرناطي، كتبت عام ١٢٨٠هـ، والنسخة رقم ٢٨١ من كتاب «الترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار العالم برًّا وبحرًا»، لأبي القاسم ابن أحمد بن علي بن إبراهيم الزياني، انتُسِخت عام ١٢٣٤هـ، والنسخة رقم: ٧٣٥٣ من كتاب «الخميس في أحوال أنفس نفيس»، لحسين بن محمد بن الحسن الديار بكري، انتُسِخت عام ١٢٨١هـ.

وهناك إلى جانب الخماسيات عيّنة من الرباعيات، مثل النسخة رقم ٩٠٥، من كتاب «التنبيه والإعلام بفضل العلم والإعلام»، لأبي القاسم بن سعيد العميري الجابري المكناسي، انتسِخَت عام ١٢٨٤هـ، والنسخة رقم :٥٦٢٦ من كتاب «مفتاح الجنة المتوقف على الكتاب والسنة»، لمحمد بن علي بن محمد بن حسن الشطيبي الصقلي، والنسخة رقم: ٢٠٢٤ من كتاب: «خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى»، لعلي بن عبد الله بن أحمد بن علي السمهودي، انتسخت عام ١٢٧٥هـ.

والعيّنة الثانية التي اشتغلت بها، وشاركت بها في محاضرة عن الكرّاسة الإسلامية بمركز إسام بتركيا صيف ٢٠١٧ م؛ مكوَّنةٌ من أربعين مخطوطًا من مخطوطات التصوف، وتعود كلُّها إلى القرن الثاني عشر الهجري، وانتخبتُها للتطبيق من أجل أحكام لحظية، وبان لي من خلالها هيمنة الخماسيات على باقي أنواع الكرّاسات الأخرى في الأجرام المتوسطة، لأن الأجرام الصغرى (ما يسمّى بكتب الجيب مثل «دلائل الخيرات») تهيمن فيها الثمانية، والأجرام الكبرى تهيمن فيها الثلاثية، من مثل ما هو حاصل في المخطوط خ، م، الرباط: ٤٤٦٣، الذي هو نسخة من «الأنوار اللامعات في الكلام على دلائل الخيرات»، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن يوسف الفاسي (ت: ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م)؛ إذ إن النسخة من الجرم الكبير ارتفاعها هو ثلاثون سنتمرًا، وعرضها ٢٣ سنتمترًا.

وقد لاحظت أيضًا أن أغلب المخطوطات المعايَنة خماسية على نحو المخطوط

خ، م، الرباط: ٢٥٨٥، الموسوم بـ «بغية السالك في أشرف المسالك»، لمحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري الساحلي (ت: ٧٥٤ هـ)، الذي انتهى من نِساخته أحمد بن الطاهر بن عبد الله، بعد صلاة الظهر من يوم الجمعة، غرّة ذي الحجة عام ١١١٦ هـ، والمخطوط خ، م، الرباط: ٤١٩٢، الموسوم بـ«التجريد لما في الشرح الكبير على الصغير من المزيد»، لمحمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي (ت ١١٠٩هـ ١٦٩٨م)، فرِغ منه عشية الخميس ٧ جُمادى الثانية، سنة ١١٠٢ هـ، والمخطوط خ، م، الرباط: ٦٠٨٨، الموسوم بـ«التنوير في إسقاط التدبير» للإسكندري، فرِغ من نساخته الثلاثاء ١٩ محرم ١١٩٢هـ، التي بدأت فيها الكتابة منذ بداية الكرّاسة الأولى، والمخطوط خ، م، الرباط: ١٢٣٨٢، الذي هو نسخة من «دلائل الخيرات»، كتبها برسم الحاجب الملكي باجوهر الكبير البرناوي، بتاريخ رجب ١١٣٦، والمخطوط خ، م، الرباط: ١٠٧٤، النسخة الموسومة بـ :«إحكام الدلالة على تحرير الرسالة»، لزين الدين أبي يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري القاهري الشافعي، المتوفى سنة ٩٢٦هـ/١٥٢٠م، فُرِغ من كتابتها يوم الجمعة ١٣ ربيع الثاني ١١٠٨ هـ، والمخطوط خ، م، الرباط: ١١٧٣، وهو نسخة موسومة بـ«رسالة ابن عباد النفّزي إلى أبي إسحاق إبراهيم الشاطبي»، وكانت قد كتِبت بخط مغربي بيد أحمد المكني بالموذن التسفتي عام ١١٨٢ م.

ونلاحظ نوعًا من استقلالية الصحائف المزدوجة، وتناسقها، الأمرُ الذي يرجّح فرضية أنها كانت تُقطع بشكل مسبَق، وتُهيَّأ في صحائفَ مزدوجةٍ مكوِّنة لخماسية، أي وضع خمس صحائف مزدوجة، الواحدة داخل الأخرى، لتكوين كرّاسة مستقلَّة، ثم بعد ذلك تركَّب الصفحة بواسطة المِنحت أو المسطرة، ثم ألفينا ضمن هذه العيّنة أنواعًا أخرى، وأغلبها موجودٌ جنبًا إلى جنب مع الخماسيات.

ومن هذه الأنواع الثنائيات، وأقصد بها الكرّاسات المكوَّنة من صحائفَ واحدة مزدوجة، ومن ذلك المخطوط خ، م، الرباط: ١٣٧٣٩/ ٥، والمخطوط خ، م، الرباط: ١٣٧٣٩/ ٧، والثلاثيات، ومن ذلك المخطوط خ، م، الرباط: ٩٣٦/ م، النسخة الموسومة بـ «الأنوار المضيئة الجامعة بين الحقيقة والشريعة»، لعبد الرحمن بن

محمد بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م)، كتبها عبد الله بن أحمد بن حسين ابن علي بن محمد بن عبد الوارث الجزولي في ١٨ جمادى الثانية عام ١١٣٠هـ.

وهناك أيضًا الرباعيات، وهي المخطوطات المكوَّنة من أربع صحائف مزدوجة، ومن ذلك المخطوط خ، م، الرباط: ١٣٧٣٩/ ٣و٤ ويتعلّق الأمر بنسخة من رسالة الحمياني إلى الطائفة الغازية، لعبد القادر بن محمد الحمياني، وهي مكتوبة بخطّ مغربي، فرغ منها ناسخها بتاريخ ٢٩ شوال المبارك عام ١١٢٣ هـ، والمخطوط رقم خ، م، الرباط: ١٣٧٣٩/ ٢، ويتعلّق الأمر بنسخة من رسالة سلطانية سعدية للشرفاء القادريين.

وهناك نوع آخر من الكرّاسات حِجْمُها صغير هي الثمانيات؛ وأقصد الكرّاساتِ المكوَّنةَ من ثماني صحائف مزدوجة، ما يعادل ست عشرة صفحة، ومن ذلك المخطوط خ، م، الرباط: ٨٨١٩، النسخة الموسومة بـ «دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار»، لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان الجزولي (٨٧٠ هـ/ ١٤٦٥م)، والمخطوط خ، م، الرباط :٨٨٢١، الذي هو أيضًا نسخة من «دلائل الخيرات»، فرغ منها عام ١١٣٠ هـ.

كما أسجِّل وجود أنواع أخرى من المخطوطات المختلطَة، التي تتجاور فيها أنواعٌ مختلفة من الكرّاسات، من مثل المخطوط خ، م، الرباط: ١٥١٤، ويتعلّق الأمر بنسخة من كتاب «الإلمام والإعلام بنفثة من بحور علم ما تضمّنته صلاة القطب مولانا عبد السلام»، لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن زكري الفاسي (ت ١١٤٤هـ/ ١٧٣١م)، النسخة التي كتبها محمد بن عبد الله، وفرغ منها في ١٢ ربيع الأول عام ١١٣٠ هـ، حيث إننا نجد أن الكرّاسة الأولى ثلاثية، بعدها كرّاسة سداسية، ثم كرّاسة رباعية، ثم كرّاسة سداسية، ثم كرّاسة رباعية، ثم كرّاسة سداسية، والمخطوط خ، م، الرباط: ٢٠٢، ويتعلّق الأمر بنسخة من كتاب «تنبيه الفقير من الغفلة والتقصير إلى الخدمة والتشمير»، لمحمد بن علي بن محمد الزيادي (ت ١٢٠هـ/ ١٧٩٥م)، كمل تقييدها يوم الخميس ٢٢ صفر ١١٩٠هـ، وفرغ من نسخها يوم الأربعاء ٢١ ربيع الثاني ١١٩١هـ، حيث نجد فيها أن الكرّاسة الأولى سداسية، ثم

رباعية، فخماسية، فرباعية، فسداسية، فرباعية، فسداسية، فرباعية، فسداسية، فرباعية، فسداسية. والمخطوط خ، م، الرباط: ١٤٢٤، ويتعلّق الأمر بنسخة من كتاب: «تحفة المخلصين بشرح الحصن الحصين»، لابن عبد القادر الفاسي، حيث نجد فيه الكرّاسة الأولى سداسية، والكرّاسة الثانية رباعية، والكرّاسة الثالثة سداسية، والكرّاسة الرابعة رباعية، والكرّاسة الخامسة سداسية، والكرّاسة السادسة رباعية، والكرّاسة السابعة سداسية، والكرّاسة الثامنة رباعية.

إن حجم المخطوطات التي وقفنا عليها لا يسمح أن نتحدّث عن تركيب علمي مرتبط بعلم المخطوطات،[١] المجالِ الجديد في ثقافتنا العربية الإسلامية،[٢] وإنما يسمح لنا أن نتحدّث عن بعض الملاحظات المبتسرة التي تحتاج عمليًّا إلى مزيد من المعاينة الكمّية، فنحن نقول إن كلّ المادة المعايَنة قد كُتبت على الورق المتأرجح بين الخشبي والقماشي، وإنما الفرق بينهما في سرعة التدهور الذي يتحصّل في الورق الخشبي، وقوة الصمود التي يتميّز بها الورق القماشي الغني بمادة السيلولوز. وهناك غياب تامّ للرّق، الأمر الذي يؤكد فرضية انحسار الرّق في صناعة المخطوطات في القرن الثامن عشر الميلادي، إذ إنني لم أصادف قطّ مادّة الرّق أو البردي، وإن كنت لا أستبعد وجودهما.

١ إن علم المخطوطات حسب ما استقررنا عليه في أبحاثنا العلمية هو العلم الذي يُعنى أساسًا بالجوانب المادية في المخطوط. أي إنه العلم الذي يتناول المخطوطة من حيث صناعتها، ونوعية أوراقها، وتركيب الأوراق في الملزمة، وصناعة الملزمة، وطريقة تشكيلها، ونوعية التجليد، وآثار الترميم. ويتناول من زاوية أخرى المخطوطة من حيث مكوّناتها الخارج نصية؛ من مثل الترقيم، والوقفيات، والبدايات، والنهايات، وحرود المتن، والإحالات، وأنظمة الكشط والمحو، والإحالة، وعلاقة الكتابة بتحدبات المادة، وتمزقاتها، وغير هذا مما يمكن أن يندرج في النساخة بمفهومها العلمي الحديث. ولا ننس تقاطعه مع مجالات معرفية أخرى. ومن أجل مفهوم دقيق يتوخّى ما وقفنا عليه آنفا من معايير علمية، فإننا لجأنا إلى نظرية الأبعاد أو القوانين العلمية المؤطرة لعلم المخطوطات، وذلك بغية توحيد مباحث هذا العلم المختلفة في معيار واحد أو معايير لها قاسم مشترك يوحّدها. وهذا الصنيع في جوهره تأكيد علمية علم المخطوطات. وحديثنا عن الأبعاد المنظمة للعلم ينطلق من أمر ثابت ذلك هو التناول المادي للمخطوطات. وقد تتعدّد الأبعاد المؤطرة من مثل البعد الحفري التقني، والبعد الحفري النسقي، اللذين اقترحتهما شخصيا في رسالة جامعية، ولكن ثمة ثابتا يبقى هوهو لا يتغير، إنه بؤرة الحفر المرتبطة بمادية المخطوط.

٢ الكتابات في هذا المجال العلمي قليلة، وقد كتب لي ان أسهم ببعض التآليف في هذا الباب من ذلك كتاب «مقالات في علم المخطوطات» الذي نشر عن دار القلم بالرباط، سنة ٢٠٠٠م، وكتاب: «من أجل دراسة حفرية للمخطوط العربية؛ محاولات في علم المخطوطات» الذي صدر عن مركز نجيبويه للمخطوطات بالقاهرة، سنة ٢٠١٠م، و «معجم مصطلحات المخطوط العربية» بمعية الدكتور أحمد شوقي بنبين مدير الخزانة الحسنية بالرباط، الطبعة الرابعة، سنة ٢٠١١م.

ونقول إن أغلب المادَّة المنتسخة قد كُتبت على كرّاسات خماسية، وهو عرف صناعي ملحوظ في أغلب المخطوطات الإسلامية، مع الاعتراف طبعًا بوجود الأنواع الأخرى من الكرّاسات التي تختلف نوعيًّا في البناء؛ إذ في اللحظة التي نلاحظ فيها هيمنة الخماسيات في الجرم المتوسط العادي في المخطوط، نلاحظ شذوذًا في هذا النوع في ما يتعلّق بالأجرام الصغرى والأجرام الكبرى. كما نلاحظ تمايزًا في المكان، على نحوٍ أننا قد نجد في عمل تركيبي مستند إلى مادّة موسعّة هيمنة الرباعيّات في المخطوطات الصحراوية العادية، بناء على ارتساماتي إزاء مخطوطات الكُنْتِيِّين التي وقفت بها سابقًا.

٣:٥: خياطة الكراسات

يمكن أن أذهب من خلال المادّة التي بين أيدينا إلى أن خياطة الكرّاسات كانت في عمومها تتوخّى أمرين متكاملين: الأمر الأول شدُّ الكراسة ذاتها من خلال حزم صحائفها المزدوجة، ويوجد خيط الخياطة في عموم الأحوال ظاهرًا وسط آخرِ صحيفة مزدوجة من الكراسة التي توجد وسطها، وهو يأتي على أربعة أو خمسة أو ستة سنتمترات في وسط الكراسة أسفل الطرر الداخلية، وإلى جانبه في الفوق والأسفل عادة ما نجد خيطين في سنتميتر أو سنتيمترين يشدَّان وسط الكرّاسة من الأعلى والأسفل، وما زال البحث محتاجًا إلى معرفة وظائف الحزمات الثلاثة الموجودة وسط الكراسة، هل يتعلّق الأمر بالوظيفة نفسها أم أن الخياطة الوسطى مخصوصة بجمع الكراسة في ذاتها، والغرزتين الفوقية والتحتية مخصَّصتان لربط الكرّاسة المخصوصة بالخياطة بباقي الكرّاسات الأخرى المكونة للكتاب المخطوط. وتعرَف نوعية الكرّاسة ببساطة من خلال الاهتداء إلى وسطها، وأقصد الخيوط المذكورة. (يُنظر الصورة رقم: ١).

ولعلّ الغرزتين الفوقية والتحتية -وهما في واقع الأمر موضوعتان لشدّ الكرّاسات بعضها مع بعض- قد تتعرّضان للتقطيع أو التفكّك، الأمر الذي يؤكِّد أو لا يؤكِّد فرضية جمع الكرّاسات بعضِها مع بعض (يُنظر الصورة رقم: ٢).[١]

١ مخطوط الخزانة الملكية بالرباط رقم: ١٢٣٨٢.

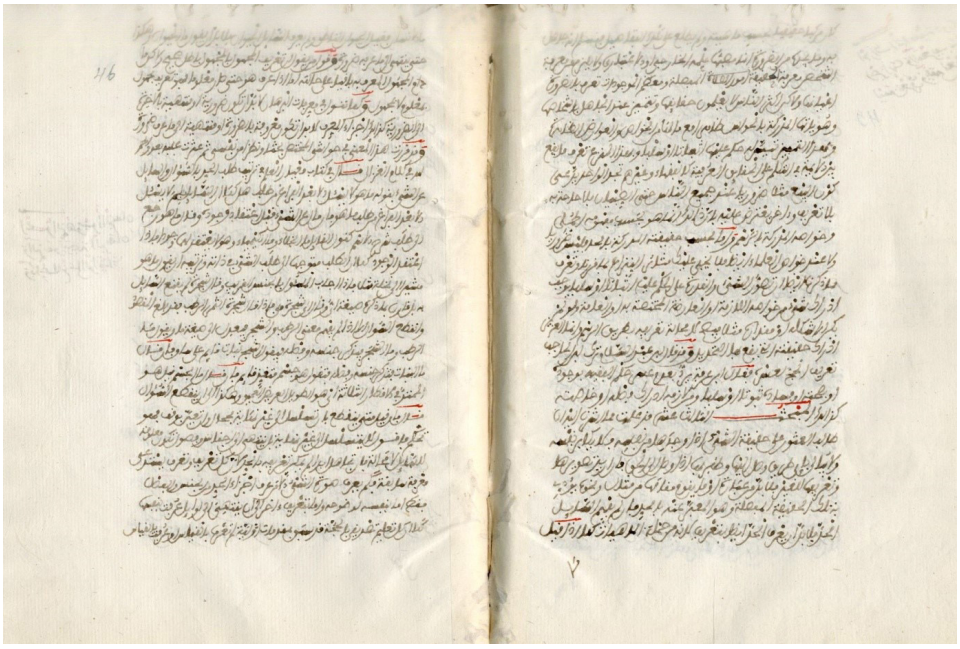

الصورة رقم ١: وسط الكرّاسة من المخطوط خ، ح، ١٣١٤.

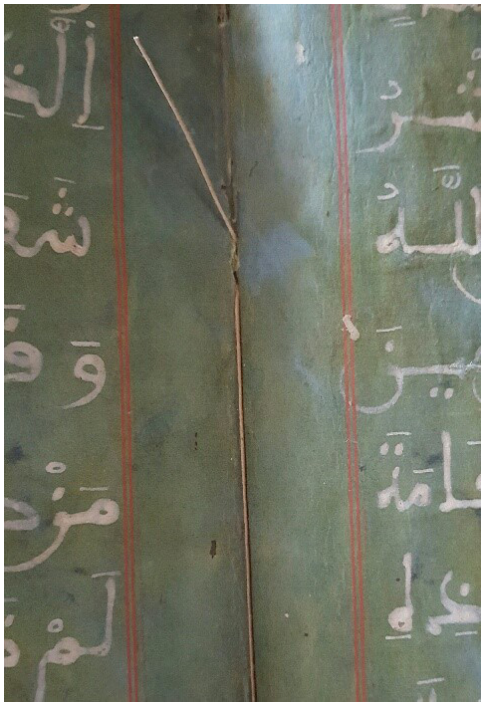

الصورة رقم ٢: انجذام خيط الكرّاسات الموجود أعلى وسط الكراسة.

ومثال ذلك المخطوط خ، م، الرباط: ٢٠٢، الموسوم بـ «تنبيه الغافلين»،[١] الذي يوجد فيه رابطان في ظهر المخطوط لجمع الكرّاسات، والمخطوط خ، م، الرباط: ١٠٧٤، النسخة الموسومة بـ «أحكام الدلالة»، التي بقيت فيها آثار حزم الكرّاسات مع بعضها ظاهرة للعيان، والدليل على ذلك أن هناك أدلّة في قفا المخطوط على بقايا خيوط متآكلة أحيانا، كانت تشدُّ الكرّاسات إلى البرشمان، وهو سير من الخيط المظفور المغموس في الغراء، ومجموع هذه المادّة التي غالبًا ما نلاحظها بين جلدة الغلاف ومجموع الكراريس (يُنظر الصورة رقم: ٣)؛[٢] يشكّل سندًا أو متّكأً للكراسات، ونجد هذا السند مدوَّرًا في أغلب الحالات على حسب بناء الكرّاسات.

الصورة رقم ٣: لصيقة أسفل المخطوط لتقبيب القفا وحماية الكرّاسات من التقطع.

وقد نجد أحيانًا ثقوبًا إضافية في الطرّة الداخلية؛ اتخِذت لشدِّ الكرّاسات مع بعضها البعض، وأغلب الظنّ أنها إجراء لاحق على الصناعة الأصلية لمجموع

١ مرَّ ذكره.

٢ مخطوط الخزانة الملكية بالرباط رقم: ١٠٧٤.

الكرّاسات أو المخطوط، غالبًا ما كان يلجأ إليه المالكون للمخطوط على أساس أنه إجراء ترميمي تقليدي؛ لأننا نفتقد أي دليل ملموس يؤكّد هذه الطريقة في صناعة الكراسة، وأغلب القرائن المعايَنة تؤكّد الحزم المتعامد مع الصحيفة المزدوجة في صورة انفتاحها، والمساير للطية الوسطى (يُنظر الصورة ٤).[١]

الصورة رقم ٤: ثقوب إضافية لشدّ الكرّاسات مع بعضها البعض.

ثم إننا نلاحظ في أحايين كثيرة انطماس آثار الخياطة من خلال الإفراط في إضافة الغَرَاء أو النشا؛ لإمساك الصحائف موحَّدة بعد تآكل خيط الخياطة، ويبقى العنصر الواحد الذي يشهد لنا على وسط الكرّاسة، ويؤمِّن طريقة صائبة في معرفة نوع الكرّاسة هو علامة وسط الكراسة. وتكون هذه العلامة في الركن الأعلى من الوجه الأيمن من الصحيفة المزدوجة الوسطى، وقد لا يكتفي الورَّاق بعلامة واحدة،

١ رقم ١٠٧٤

وإنما يضع علامتين: واحدة في أعلى يمين وجه الصحيفة المزدوجة الوسطى، والأخرى في أسفل وجه الصحيفة المزدوجة اليسرى (يُنظر الصورة رقم: ٥).

الصورة رقم ٥: علامة وسط الكرّاسة المخطوط خ، ح، ٧٧٠٩.

وتكون آخر صحيفة في الكرّاسة الأخيرة من المخطوط معرَّضة في أغلب الأحيان إلى التقطُّع أو التلاشي. وبناء على ذلك فإن الورّاق كان يلجأ في أحيان كثيرة إلى ترك صفحات فارغة في آخر المخطوط، وترك الصحيفة الأخيرة بالضرورة اتقاءً لما قد يلحق المخطوط من صروف ونوائب، ومع ذلك نعثر على استثناءات في المخطوطات الإسلامية؛ كأن نجد أن الكتابة تستمرّ إلى آخر صحيفة من الكرّاسة الأخيرة، وفي هذه الحالة تكون الكرّاسة مهددَّة بشكل بارز، الأمر الذي يجعل مالكي المخطوط مدعوين في أحيان كثيرة إلى التعامل مع حساسية هذا الواقع بطريقة عشوائية، ويحصل الترميم اليدوي المضرّ عادة بالمخطوطات (يُنظر على سبيل المثال الصورة رقم: ٦).

الصورة رقم ٦: ترميم يدوي لآخر صحيفة من كرّاسات المخطوط رقم: خ، ح، ١٣١٤

٥: ٤: بعض مميزات الكراسات الإسلامية

لم يكن الورّاق يكتب الكرّاسة الأولى في المخطوط من بدايتها؛ إذ عادة ما نجد صفحتين أو ثلاثًا فارغة، ونجد في الأغلب الأعمّ ورقتين ونصف، وأقصد وجه الصحيفة الثالثة، لأن ظهر الصحيفة الثالثة يكون في أغلب الأحيان هو بداءة المخطوط، ويكون سرلوحة[١] كاملة في المخطوطات الخزائنية، ومثال ذلك النسخة خ، م، الرباط: ١٥١٤، حيث إن الأوراق الثلاث الأولى منها فارغة، والنسخة خ، م، الرباط: ٤٦٥٨، التي نجد فيها الأوراق الثلاث الأولى أيضًا فارغة، والنسخة خ، م، الرباط: ٣٨٥٩، كتاب: «أحكام الدلالة»، الذي نجد فيه ورقتين فارغتين في البداية، وقد تكون الورقة الأولى مسطَّرة وفارغة، مثل النسخة خ، م، الرباط: ٣١٨٨،[٢] التي نجد فيها الصفحة الأولى مجدولة وفارغة من الكتابة. والمخطوط خ، م، الرباط:

١ كلمة فارسية بمعنى تعليق.

٢ يتعلق الأمر بنسخة من «التنوير في إسقاط التدبير»، لابن عطاء الله الإسكندري.

١٠٧٤،[١] الذي توجد فيه ورقتان فارغتان في البداية ووجه الورقة الثالثة. وقد يصل الأمر في بعض بداءات المخطوطات إلى أربع أوراق فارغة، على نحو ما يوجد في المخطوط خ، م، الرباط: ١٤٢٤.

ويعرَف وسط الكرّاسة ببروز خيط الخياطة بالشكل الذي أسلفنا فيه القول، ونجد شارة وسط الكرّاسة في عدد كبير منها، وهي عبارة عن عين مائلة في اتجاه النصّ، توضَع في الركن الأعلى من ظهر الصحيفة المزدوجة الوسطى في يمين طرَّة الرأس، وهي شارة كان يضعها الورّاقون لتعليم وسط الكراسة، ومثال ذلك العين المائلة المتكرِّرة في أواسط كرّاسات المخطوط خ، م، الرباط: م/ ٣٢١٢،[٢] إذ توجد شارة وسط الكرّاسة في الركن الأعلى من كلّ خماسية، والشارة الموجودة في وسط المخطوط خ، م، الرباط: ١٤٢٤،[٣] وهي متكرّرة في باقي أواسط الكرّاسات الأخرى، وتوجَد هذه الشارة أيضا في المخطوط خ، م، الرباط: ٣٨٥٩،[٤] وتتكرَّر في باقي كرّاسات المخطوط.

ولا نكاد نعثر على المِعْقَب في المادَّة المعينة إلا نادرًا، وفي المقابل نجد قطعًا ورقيَّة متخَذة لتقوية أواسط الكرّاسات، ومثال ذلك المخطوط خ، م، الرباط: ٤٤٦٣،[٥] الذي وضعَت فيه معاقب بيضاء لتقوية أواسط الكرّاسات، والمخطوط رقم خ، م، الرباط: ٣٢١٢؛[٦] إذ إن خماسياتها مدعَّمة في جذرها بورق مقوًّى، والمخطوط خ، م، الرباط: ٣٨٥٩، ويتعلّق الأمر بنسخة من «إحكام الدلالة على تحرير الرسالة»، لزين الدين أبي يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري القاهري الشافعي المتوفى سنة ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م، التي توجد في بدايتها ورقتان للدعم.

١ يتعلق الأمر بنسخة من «إحكام الدلالة على تحرير الرسالة»، لزين الدين أبي يحيى زكريا بن محمد بن أحمد ابن زكريا الأنصاري القاهري الشافعي المتوفى سنة ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م. فُرِغ من كتابتها يوم الجمعة ١٣ربيع الثاني ١١٠٨هـ.

٢ يتعلق الأمر بنسخة من «تنبيه التلميذ المحتاج»، لابن عزوز المراكشي.

٣ يتعلق الأمر بنسخة من «تحفة المخلصين بشرح الحصن الحصين» لابن عبد القادر الفاسي.

٤ إحكام الدلالة على تحرير الرسالة لزين الدين أبي يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري القاهري الشافعي المتوفى سنة ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م.

٥ الأنوار اللامعات في الكلام على دلائل الخيرات لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن يوسف الفاسي (ت ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م).

٦ تنبيه التلميذ المحتاج لا بن عزوز المراكشي.

نتائج أولية

إذا كنّا آثرنا عدم التعميم من خلال محاصرة المادّة الملاحظة أو المادّة التي جعلناها موضوع الملاحظة، ويتعلّق الأمر بمخطوطات التاريخ والتصوف في الخزانة الملكية بالرباط في القرن الثاني عشر الهجري، فإننا في مقابل ذلك نعترف أن البحث ما زال في بداياته، ويحتاج إلى سند كمّي لتأكيد بعض الفرضيات أو دحضها، ومن ذلك أن الكرّاسة المهيمنة على الفترات المذكورة هي الخماسية، مع العلم أن هناك أنواعًا أخرى وجِدت إلى جانبها من مثل الثلاثية، والرباعية، والسداسية، والثمانية، والعشارية.

ثم إننا لاحظنا أن المِعْقَب لم يوضع في العيّنة التي بين أيدينا لتعويض صحائف مبتورة أو محذوفة أو نحو ذلك، وإنما وضع لدعم أو تقوية قعر الكرّاسات أو بداية الكرّاس.

ثم إننا وقفنا بمسألة بقاء ثلث الكرّاسة الأولى في السِّفر فارغة من الكتابة، إذ نجد ورقتين ووجه الصحيفة الثالثة فارغة، ويكاد يكون هذا الأمر قاعدة أو فرضية في صناعة الكرّاسات، والغالب أن الورّاق كان يعرف أهمية هذه الأوراق الأولى في تدوين عناصر جديدة من مثل البيع والشراء والتحبيس والتملك، فكان يتركها فارغة بسبب هذه الاحتمالات. ثم إن هذه الأوراق تشكّل من جهة أخرى عنصرًا واقيًا للمخطوط من عوامل الدهر، والتآكل، والبتر، والتخرم، والرطوبة، وغير ذلك من الآفات التي تكاد تكون قاعدة في تاريخ المخطوط.

ولاحظنا من جهة أخرى أن صناعة الكرّاسة لم تكن تأتي بطي فرخة واحدة في الغالب الأعم، وإنما حصلت من خلال دمج صحائف مزدوجة قُطِّعت مسبقًا بطريقة مستقلّة، وكانت تشدّ هذه الصحائف المزدوجة التي تشكّل كرّاسة بخيط الخياطة، ولاحظنا أن هناك ثلاثة آثار لخيط الخياطة وسط الكرّاسة: خيطٍ موضوع وسط الكرّاسة، ويمتد طويلا في المحور الوسطي للكرّاسة، وخيطين موضوعين في الأعلى والأسفل من الخيط المذكور، ويمتدّان لنحو سنتيمترين لكلّ واحد. وقد بينتُ أن خيط الخياطة الوسطى كان قد وضعه الورّاق لشدّ صحائف الكرّاسة، فيما وضِع الخيطان الآخران لشدّ الكرّاسة إلى باقي الكرّاسات الأخرى المشكّلة للكرّاس أو السفر.

ولاحظنا وجود شارة في أعلى الطرّة الخارجية لوسط الكرّاسة، عبارة عن عين مائلة، هي الصوَّة[1] التي تدلُّ على وسط الكرّاسة، وتوجد هذه الصوة في باقي أواسط الكرّاسات الأخرى. كما قدّمنا اللصيقة الموجودة في قفا الكراريس (مجموع الكرّاسات)، وأهميتها في الحفاظ على سلامة هذه الكرّاسات، وفي ربط هذه الكرّاسات بعضها مع بعض، داخل المخطوط الواحد.

إنها جملةٌ من الملاحظات نتمنّى أن تفتح شهيّة القراء إلى مزيد من المعاينة والمساءلة والمعارضة أيضًا، خاصة إذا علمنا حتمية اختلاف خصوصيات المخطوط العربي من بلد إلى آخر. والله ولي التوفيق.

١ الصوة جمع أصواء: العلامة.

قائمة المصادر والمراجع

- **تاريخ خزائن الكتب بالمغرب**، لأحمد شوقي بنبين، ترجمه من الفرنسية مصطفى الطوبي، منشورات الخزانة الحسنية الرباط، ٢٠٠٣م.
- **تاريخ الكتاب الإسلامي المخطوط**، لمحمود عباس، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- **دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي**، لأحمد شوقي بنبين، مراكش، ط٢، ٢٠٠٤م.
- **في الكتاب العربي المخطوط**، لأحمد شوقي بنبين، الخزانة الحسنية، الرباط، ٢٠١٣م.
- **الكوديكولوجيا في العالم العربي الإسلامي** (مقال لمصطفى الطوبي)، مجلة عالم الفكر، العدد ٢ المجلد ٤٤ (أكتوبر – دجنبر)، ٢٠١٥م.
- **المخطوط العربي وعلم المخطوطات** (ندوة)، كلية الآداب، الرباط، ١٩٩٤م.
- **مدخل إلى علم المخطوط**، لجاك لومير، ترجمة مصطفى الطوبي، الخزانة الحسنية، الرباط، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- **المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي**، لنخبة من الباحثين الأجانب، تنسيق فرانسوا ديروش، ترجمة مصطفى الطوبي وعبد الواحد الجهداني، مراجعة الترجمة أيمن فؤاد السيد وأحمد شوقي بنبين، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- **مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي)**، لمصطفى الطوبي وأحمد شوقي بنبين، الخزانة الحسنية، ط٤، ٢٠١١م.
- **مقالات في علم المخطوطات**، لمصطفى الطوبي، دار القلم، الرباط، ٢٠٠٠م.
- «**مقدمة في علم المخطوطات**»، رسالة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا في الآداب، إعداد مصطفى الطوبي، إشراف أحمد شوقي بنبين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، أكتوبر ١٩٩٧م.
- **من أجل دراسة حفرية للمخطوط العربي؛ محاولات تطبيقية في علم المخطوطات**، لمصطفى الطوبي، منشورات مركز نجيبويه، القاهرة، ٢٠١٠م.

مراجع باللغات الأجنبية

- Catalogue des manuscrits arabes Paris 1983, article (The codicology of the islamic manuscrits).
- Introduction à la codicologie ,Jacques lemaire ,louvain-la-neuve ; 1989
- Pour une histoire du livre manuscrit – trois essais de Codicologie quantitative. Carla Bozzolo et Ezio Ornato CNRS ,Paris 1983
- 7 L .R . P. Prolégomènes à la codicologie, Gilissen léon Editions scientifiques , story scientia S GAND 1977
- Scribes et manuscrits du Moyen – Orient , sous la direction de François Déroche et Francis Richard ,Bibliothèque nationale de France ,Paris, 1997,